مجلّة اللّغة العربيّة المجلّد: 23 العدد: 3 السّنة: الثّلاثيّ الثّالث 2021 ص 333 - 350

خصائص الخِطاب الشّعري في أرجُوزة "إلى علَماء نَجْدْ" لمحمّد البشير الإبراهيمي "قراءة في آليّات الحِجَاج"

Characteristics of the Poetic Discourse in the Poem "To the Scholars of Najd" Bay Mohammed AL-Bashir AL-Ibrahimi. "Reading In the Mechanisms of Persuasion"

أ. سفيان مطروش*

المشرف أ. سليمان بن سمعون

تاريخ الاستلام: 02- 03- 2019/ تاريخ القبــول: 17- 10- 2019

التعريف الرقمي للمقال: 10.33705/0114-023-003-018 2021 DOI

الملخّص: تهدف ورقتنا البحثيّة إلى اكتشاف بعض خصائص وآليّات الحِجاج الموجودة في الخطاب الشّعري لدى (محمّد البشير الإبراهيمي)، تحديدًا في أرجوزته "إلى علماء نَجْدْ"، التي أرسلها إلى مجموعة من العلماء، يَوَدُّ إقناعهم بضرورة تغيير مُنكَر يتمثّل في انحراف بعض شباب الإسلام. ومن منطلق خصوصيّة الخطاب الشّعري، وسُلطة كل من المرسِل والمرسَل إليه؛ نطرح تسَاؤلا مفاده:

ما هي أهمّ آليّات الإقناع التي تمّ توظيفها في الأرجوزة ؟.

الكلمات المفتاحيّة: خصائص، خطاب، أرجوزة، آليّات، حِجَاج، محمّد البشير الإبراهيمي.

* ج. غرداية الجزائر، البريد الإلكتروني: metrouche88@gmail.com (المؤلّف المرسل)

Apstract: This research paper aims at discovering Some of the proper thies and mechanisms of persuasion found In the poetic discourse of AL-Bashir AL-Ibrahimi,Specifically In his Poem "To the Scholars of Najd",a hich he Sent to the Scholars hoping to convince them of the necessity to change the evil of deviation of some youth of Islam,In terms of the specifity of the poetic discourse and the authority of both the sender and the addressee,we would raise the following question:what are the most Important mechanisms of Persuasion that have been employed In the poem (Alarjouza)?.

Key words: Characteristics, Poetic Discourse mechanisms of persuasion, AL-Bashir AL-Ibrahimi.

مقدّمة: الحمد لله ربّ العالمين والصّلاة والسّلام على سيّد المرسلين، وعلى آله وصحبه الطّاهرين وبعد، تسعى كثير من الخطابات إلى تحقيق مجموعة من الغايات والأهداف، ولعلّ من أبرزها محاولة إقناع متلقّيها، وبالأخصّ إذا كان هذا المتلقّي مقصودا باسمه ولذاته، من أجل تبنّي اعتقاد ما أو التّخلي عن آخر، ولتحقيق هذه الغاية لا بدّ أن يراعي المرسل «إستراتيجيّة تداوليّة تشتقّ طبيعتها واسمها من هدف الخطاب، يمكن أن نسمّيها إستراتيجيّة الإقناع»[1]؛ ولكي تتمّ هذه العمليّة بنجاح لا بدّ من توفّر مجموعة من الآليّات اللغويّة والمنطقيّة، التي يُعتَبر الحِجاج من أهمّها؛ لأنّه «عمل عقلي في ممارسته لكنّه يعتمد على اللغة في تمثيله، ممّا يسهم في استثمار قالبَيْ المنطق واللّغة بالدّرجة الأولى، وهما القالبَان الأساسيّان في كلّ عمليّة لغويّة وفي ذلك ما ينزع إلى تغيير المعتقدات بل وتوجيه الذّهن صوبَ وجهة محدّدة»[2]؛ حيث يمكن أن « تزدوج أساليب "الإقناع" بأساليب "الإمتاع" فتكون، إذ ذاك، أقدر على التّأثير في اعتقاد المخاطَب، وتوجيه سلوكه لما يهبُها هذا الإمتاع من قوّة في استحضار الأشياء، ونفوذ في إشهادها للمخَاطَب ».[3]

كما يعتبر «الشّعر أكثرُ تداوليّة من اللغة العاديّة»[4]، لما يمتلكه من قوانين خاصّة تميّزه عن تلك اللغة؛ فأساليب الشّعر «تتنوّع بحسب مسالك الشّعراء في كل طريقة من طرق الشّعر»[5] لهذا يُوصف الخطاب الشّعري في حدّ ذاته بأنّه «إستراتيجيّة تلفّظ».[6] إذ يبني الشّاعر كلامه اعتمادًا على وسيلتي المحاكاة والتّخييل «وله مع ذلك أن يذهب مذهب الخطيب في الاحتجاج والإقناع والحرصِ على التّرابط والانتظام في الأفكار».[7]

فالتّقنيات التي يستند إليها الشّاعر من أجل الحِجاج، تختلف من نصٍّ إلى آخر ومن شاعر لآخر، ولكنّها تؤكّد أنّ الحِجاج لا يعني «حشد الحُجج وربط مفاصل الكلام وتعليق بعضه بالبعض الآخر فحسب، بل يعني كذلك جملة من الاختيارات الأخرى على مستوى المعجم والتّركيب، اختيارات تراعي غاية الخطاب وتستجيب لعلاقة الشّاعر بالمتلقّي وتلائم وضع المتلقّي ومقتضيات المقام»[8].

وعليه نجد أنّ (الإبراهيمي)[9] قد أدركَ العديدَ من هذه التّقنيات والخصائص ووظّفها في أرجوزته "إلى علماء نَجْدْ"[10] الموجَّهة إلى مجموعة من العلماء، أراد عن طريقها أن يُحاجِجَهم ويُقنِعهم بضرورة تغيير مُنكر، متمثّل في انحراف بعض الشّباب المسلم ومَيلِهِ إلى تيّار الاستغراب، بناء على السّلطة التي يمتلكها هؤلاء العلماء. ومن وجهة نظرنا يعدّ استعمال (الإبراهيمي) للخطاب الشّعري دون النّثري، في حدّ ذاته إستراتيجيّة خطابيّة فالرّجز نمط «من أنماط الشّعر العربي القديم، حيث يشكّل أبرز مظاهر الشّعريّة العربيّة، ويُنظَر إليه عادةً باعتباره من الأصول الأساسيّة لإبداعنا الشّعري»[11]، كما يُعرَف عن (الإبراهيمي) أنّه إذا «كتَبَ أو حاضر كان حريصًا على شيئين: أحدهما غاية والآخر طريق إلى تحقيق هذه الغاية».[12]

ومن منطلق تعريف الحِجاج بأنّه: «تقديم الحُجَج والأدلّة المؤدّية إلى نتيجة مُعيّنة وهو يتمثّل في إنجاز تسلسلات استنتاجيّة داخل الخطاب»[13]؛ نطرح السّؤال الآتي:

ما هي أهمّ آليّات الإقناع التي تمّ توظيفها في الأرجوزة ؟.

<u>- آليّات الحِجَاج في الأرجوزة:</u>

<u>1-الدّور الحِجاجي للعنوان:</u> غالبًا ما يُوظَّف العنوان كأداة حجاجيّة، يستعين بها المرسل في تلخيص ما سيطرحه من أفكار؛ لأنّه يلعب دور «المحور الذي يتوالدّ ويتنامى

ويُعيد إنتاج نفسه، وهو الذي يُحدّد هويّة القصيدة».[14] وتتجسّد الطّبيعة الحِجاجيّة لعنوان الأرجوزة التي نحن بصدد دراستها، في أنّ المخاطِب قدّمه على أنّه انعكاس لقصده فعند توظيفه لاسم عالِم بارز فيه تخصيص للمرسَل إليه، وبالتّالي يكون قد قدّم ملخّصا لمخطّطه الإقناعي الذي سيعرضه لاحقا، في ثنايا قصيدته.

2-الأدوات اللّغويّة:

2-1-ألفاظ التّعليل: هي من الوسائل اللغويّة التي يستخدمها المرسل في عمليّة بناء حُجَجِه، ومن تطبيقاتها في الأرجوزة:

2-1-1-الوصل السّببي: الوصل السّببي، هو أن يَعمَدَ المُحَاجِجُ إلى «الرّبط بين أحداث متتابعة، مثل الرّبط بما يمكن أن يكون المقدّمة والنّتيجة فتصبح النّتيجة مقدّمة لنتيجة أخرى»[15]؛ إذ توجد هذه الآليّة بشكل جليّ في جميع مراحل القصيدة تقريبا، نُورِد منها مقطعًا بارزا فقط، وهو عند قوله:

﴿ **والشّـــرْكُ فـــي كُـــلِّ الـــبِلادِ عَرَّسَـــا** ⇦ جَـــذْلانَ يَـــتْلُو كُـــتْبَهُ مُـــدَرِّسَا مُصَـاوِلاً مُوَاثِـبًا مُـفْتَرِسَا ⇦ مُنْـكَمِشًا مُـنْخَذِلاً مُقْعَنْسِسَـا ⇦ شَـيْطَانُهُ بَـعْدَ الـعُرَامِ خَـنَسَا ونُكِّسَتْ رَايَاتُـهُ فَـانْتَكَسَا ⇦ وقَـامَ فِـي أتْـبَاعِهِ مُـبْتَئِسًا ⇦ وقَـالَ إنَّ شَـيْخَكُمْ قَـدْ يَـئِسَا ⇦ مِـنْ بَـلَدٍ فِـيهَا الهُـدَى قَـدْ رَأسَـا ⇦ ومَـعْلَمُ الشّـركِ بِـهَا قَـدْ طُمِسَـا ﴾ ومَـعْهَدُ الـعِلمِ بِها قَدْ أسِّسَا ⇦ **ومَـنْهَلُ التّوحيدِ فِيهَا انْبَجَسَا.**

نلاحظ تدرّجًا في عرض الأدلّة وفقَ تسلسل منطقي، بدأه بالتّذكير أنّ الشّرك قد انتشر في البلاد وانتهى إلى أنّ هذا الشّرك لم يلبث طويلا وحلّ محلّه التّوحيد، وقد يرد «التّعليل السّببيّ في التّراكيب الشّرطيّة الظّاهرة، وذلك أدعى لتوليد حججٍ جديدة ذات صلة بالحجّة الأولى»[16]؛ ومثالها في القصيدة:

فَـطَاوِلُوا الـخَلْفَ ومُدُّوا المَرَسَا ⇦ وجَاذِبُوهُمْ إنْ ألانُـوا الـمَلْمَسَا

لاَ تَـيْأسُوا: وإنْ يَـئِسْتُ: فَعَسَى ⇦ أنْ تَـبْـلُغُوا بِـالحِيلَةِ الـمُلتَمَسَـا

وَدِدْتُ لَوْ أنَّ المَدَى تَنَفَّسَا ⇦ حَتَّى أرَاهُ بَالِغًا أندَلُسَـــــــا

2-2-الأفعال اللّغويّة:

2-2-1-الاستفهام: من أمثلته في الأرجوزة نجد:

وأيْنَ ليثٌ للْوُحُوشِ انْتَهَسَا مِمّن حَبَا الآلافَ مَالاً وكَسَا

وعليه يعتبر في بعض الأحيان توظيف الاستفهام «هو الحُجَج ذاتها»[17]

2-2-2-النّفي: يُستعمل "النّفي" كأداة لغويّة للإقناع، ومنه في القصيدة على سبيل المثال:("لاَتَيْأسُوا"، "ولاَ لَقَيْتَ"، "فَلاَتَأْبَى الحَسَا"، "ولا تُبَالِ عَاتِبًا"، "ولا تُشَمِّتْ" "ولاَتَقِفْ بِقَبْرِهِ"، " ولا تَثِقْ بِفَاسِقٍ"، "لا يُحارِي الأَنْفَسَا"، "لاَ المُقَوْقَسَا"، "لَمْ تَزَلْ"، "لَمْ تعدّ" "لَمْ يُؤنَسَا"، "لَمْ يُعْطِه"، و"الحِجَى لَنْ يُنْخَسَا" ...).

2-3-الحِجاج بالوصف:

2-3-1-الصّفة: تمّ الاعتماد على هذه الآليّة الحِجاجيّة في أغلب أبيات الأرجوزة نذكر منها: (مُصَاوِل، مُوَاثِبً، مُفْتَرِس، مُنْكَمِش، مُنْخَذِل، مُقْعَنْسِس مُبَصْبِص عُمَرَ الحَقِّ، الفَارُوقُ، ذَا الطّفْيَتَيْنِ الأَمْلَسَا، المَلْعُونُ، رَئِيسَ الرّؤَسَا، سُلَّس غُرّ...).

2-3-2-استعمال أسماء الأعلام: توظيف أسماء الأعلام والألقاب في الخطاب من الآليّات التي يمكن أن تجسّد سمة على طبقة الحِجاج، إذ تعتبر ألقاب القرابة من أهم تلك الآليّات، «بوصفها تنتمي إلى سلّميّة ذات درجات، فيختار المرسل منها ما يرى أنّه يجسّد قرابته بغيره في الخطاب، ليُحاجِج من خلالها، بالإضافة إلى دلالتّها على التّضام»[18] مع المرسل إليه، و(الإبراهيمي) لم يغفل بدوره هذا الجانب الحِجاجي المهمّ؛ حيث وظّفَ مجموعة من الأسماء والألقاب في مطلع قصيدته كاستهلال برّرَ من خلاله مكانة المرسل إليه عنده: (نَجْد، مَالِك، أَنَس، الأَحْمَدَيْنِ طَه، عُمَر الحَسَا، نَصْرُ بْنُ حَجَّاج، شَيْبَة الحَمْدِ، إياس، سُعُود، كِسْرَى المُقَوْقس،...).

ودائما ما يوظّف المحاجِج معجمًا عاطفيّا «المراد منه كسب تعاطف الآخر واستمالتّه لاقتسام وجهة النّظر، تصوّغ هذا المعجم عبارات صريحة دالّة على حالة موحيّة بانفعاله وصدق ارتباطه بالأطروحة المقترحة»[19]، ودليله في القصيدة استعمال التّزكيّة في بعض

الأحيان:(فـي شِـيخَةٍ حَدِيثُهُم يَجْلُو الأَسَى)،(يُـحْـيُونَ فِـينَا مَـالِكاً وأَنَـسَا)، (قَـدْ لَـبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَه مَلبَسَا)، (فَسمْتُهُمْ مِـنْ سَـمْتِهِ قَـدْ قُبِسَا)، أو توظيف الدّعاء والنّداء ليزداد تقرّبا من المرسل إليه، وتضامنا معه، كما في قوله: (بُورِكْتِ يَا أَرْضًا بِهَا الدّينُ رَسَا)، (يـا عُـمَرَ الـحَقِّ وقيتَ الأبْؤُسَا)، (ويَا رَعَى الله سُعُودًا وكَسَا)،(وَدِدْتُ لَوْ أنَّ المَدَى تَنَفَّسَا حَتَّى أرَاهُ بَالِغًا أندَلُسَا)، (وَقَاهُ رَبِّي كُلَّ مَا ضَرَّ وَسَا)...

2-3-3-استعمال اسم الفاعل: احتوت القصيدة مجموعة من أسماء الفاعل أسهمت في تنسيق العمليّة الإقناعيّة، من بينها:

(عاتِب، فاسِق، عَاقِلٌ، صادِق، صادِع، خائِف، فارِس، بالِغ،...).

2-3-4-استعمال اسم المفعول: ومن توظيف الاسم المفعول في القصيدة نجد: (ملعون، نشيط، كسُول، مَكِين،...).

2-4-تحصيل الحاصل:

2-4-1-توظيف المثَل: تضمّنت الأرجوزة تمثيلا واحدا، عند قوله:

فَـإنْ أبَـتْ نَجـدٌ فَـلاَ تَـأبَى الحَسَـا ... فَـاقْسُ عَلَـى أشْـرَارِهِمْ كَمَـا قَسَـا
سَـمِيُكَ الفَـارُوقُ (فالـدّينُ أُسَى) ... **نَصْـرُ بْـنُ حَجَّـاجِ الفَـتَى ومَـا أسَـا**
غَرَّبَـهُ إذ هَتَفَـتْ بـهِ النّسَـا ... ولا تُبَـالِ عَاتِبًـا تَغَطْرَسَـا

فيه إشارة إلى قصّة عمر بن الخطاب (ﷺ)، لمّا سيّرَ شابّا عُرِف بالحسن والجمال يُدعَى: نصر بن حجّاج، مخافة أن يفتن نساء المدينة، وقد وظّف المرسل هذه الواقعة التّاريخيّة تحفيزا للمرسَل إليه وتذكيرا بالعواقب، وهذا الضّرب من الحِجاج يطلِق عليه (طه عبد الرّحمان) تسميّة: «المحاورة البعيدة أو "التّناص"».[20] فالمثال التّاريخي، هو «مثال واقعي يروي الأمور التي حدثت من قَبْل للإقناع بدعوى ما، كما يستمدّ قوّته الإقناعيّة من عدّة سمات أو مواضع[21]، يمكن أن نوضّحها في التّرسيمة الآتيّة:

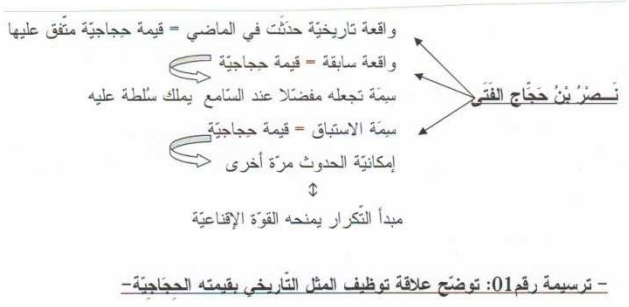

- ترسيمة رقم01: توضّح علاقة توظيف المثل التّاريخي بقيمته الحِجَاجيّة-

2-4-2- تكرار بعض الألفاظ: قد يلجَأ المُحَاجِجُ إلى استخدام بعض الأدوات الحِجَاجيّة الضّاغطة من مثل "التّكرار" لتعزيز الحُجّة[22]، وعند النّظر في استعمال آليّة التّكرار في الإقناع نجد أنواعا مختلفة منه يفترق تأثيرها في الخطاب، إذ «يقوم بدور كبير في الخطاب الشّعري أو ما يشبهه من أنواع الخطاب الأخرى الإقناعيّة»[23]؛ ويعدّ التّكرار اللّفظي أوّل تلك الأنواع، نظرا لما يمتلكه من «دور حِجاجي هامّ متى اُعتُمِد في سياقات محدّدَة وتوفّرت فيه شروط معيّنة، فتكرار اللّفظة ذاتها في أكثر من موضع يعدّ من أفانين القول الرّافد للحِجاج المدعِّمة للطّاقة الحِجاجيّة في الدّليل أو البرهان لما له من وقع في القلوب»[24]؛ ولأنّ «العناية باللّفظ لا تنفصل عن إستراتيجيّة الإقناع».[25]

وعليه تزخر القصيدة بتكرار بعض المفردات بدرجات مختلفة، لعبت دورا مهمّا في دعم القوّة الإقناعيّة، منها:(العلم:(05 مرات) الخُنّس:(03 مرات) كَسَا: (03 مرات) -غَرْس:(04 مرات) ....

"تَـجَسَّسُوا عَـنْهُمْ فَـمَنْ تَجَسَّسَـا"، "تَـدَسَّسُوا فِـيهِمْ فَـمَن تَـدسَّسَا"، "ونُكِّـسَتْ رَايَاتُـهُ فَـانْتَكَسَا" "واتّعـكَسَتْ أفـكَارُهُ فَـانْعَكَسَا"، "لَيْثٌ إذَا اللّيْـثُ انْثَـنَى وأيْـنَ لِيـثٌ للْوُحُوشِ"...

3-الآليّات البلاغيّة:

3-1-تقسيم الكلّ إلى أجزاء: يمكن للمُحَاجِج أن يذكر حجّته كليّا في أوّل الأمر، ثم «يعود إلى تفنيدها وتعدّاد أجزائها، إن كانت ذات أجزاء، وذلك ليُحافظ على قوّتها الحِجاجيّة، فكلّ جزء منها بمثابة دليل على دعواه».[26]

ومثال هذا التّوظيف في الأرجوزة:

سَمِيُّكَ الفَارُوقُ (فالدّينُ أُسَى) ⇦ نَصْرُ بْنُ حَجَّاج الفَتَى ومَا أسَا ⇦ غَرَّبَهُ إذ هَتَفْتْ بِهِ النّسَا = ولا تُبَالِ عَاتِبًا تَغَطْرَسَا+ أوْ ذَا خَبَالٍ لِلْخَنَا تَحَمَّسَا+ أوْ ذا سُعَارٍ بالزّنَى تَمَرَّسَا + شَيْطَانُهُ بالمُنْدِيَاتِ وَسْوَسَا+ ولا تُشَمِّتْ مِنْهُمُ مَنْ عَطَسَا+ ولاَ تَقِفْ بِقَبْرِهِ إنْ رُمِسَا + ولا تَثِقْ بِفَاسِقٍ تَطَيْلَسَا+ فَإنَّ في بُرْدَيْهِ ذِئبًا أطْلَسَا + وإنْ تَرَاءَ مُحْفِيًا مُقَلْنِسَا...

3-2-توظيف الاستعارة: تعدّ آليّة الاستعارة من الوسائل اللّغويّة، التي يمكن أن يستثمرها المرسل « للوصول إلى أهدافه الحِجاجيّة، بل إنّها من الوسائل التي يعتمدها بشكل كبير جدّا»[27]، وقد وُظِّفَت في كثير من مواضع الأرجوزة؛ وذلك مردّه أنّ الخطاب الشّعري هو خطاب مبنيّ في الأساس على التّخييل، وإدراكًا من المرسِل لخاصيّة الحِجاجيّة التي تمتلكها الاستعارة، ومن أمثلتها في الأرجوزة: ("والصّبْحُ عَنْ ضِيَائِهِ تَنَفّسَا"، "وَعِلمُهُمْ غَيْثٌ يُغَادِي الجُلَسَا"، "وَهِمَمٌ غُرٌّ تَعَافُ الدّنَسَا"، "وذِمَمٌ طُهْرٌ تُجَافِي النّجَسَا"، "قَدْ لَبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَه مَلبَسَا"، "والشّرْكُ فِي كُلِّ البِلادِ عَرَّسَا" "جَذْلاَنَ يَتْلُو كُتْبَه مُدَرِّسَا"، "وانْعَكَسَتْ أفْكَارُهُ"، "فَإنْ أبَتْ نَجدٌ فَلاَ تَأبَى الحَسَا" "فَإنَّ فِي بُرْدَيْهِ ذِئبًا أطْلَسَا"، "فَسَلْ بِهِ ذَا الطّفْيَتَيْنِ الأمْلَسَا"، "فَتَحْتَ بِالعلمِ عُيُونًا نُعَّسَا"، "غَيْثٌ إذَا قَطْرُ السّمَاءْ انْحَبَسَا"، "لَيْثٌ إذَا اللّيْثُ انْثَنَى وانْخَنَسَا"...).

3-3-توظيف التّمثيل/ التّشبيه: التّمثيل، هو «عقد الصّلة بين صورتين ليتمكّن المرسل من الاحتِجاج وبيان حُجَجه»[28] وقد استعمله (الإبراهيمي) في قوله: ("فَأصْبَحَتْ مِثلَ الزّلاَلِ المُحْتَسَا"، " أعْطَاهُ مُلكًا مِثلُهُ لَمْ يُؤنَسَا"...إلخ).

وللتشبيه، دوره الحِجَاجِي هو الآخر، لذا استعملها المُحَاجِجُ عند قوله:

("كأنّنَا شَرْبُ يَحُثُّ الأَكْؤُسَا"، " فَاقْسُ عَلَى أشْرَارِهِمْ كَمَا قَسَا"...إلخ).

3-4-تقنيّة البديع: يستخدم المرسل أصنافا لغويّة تعدّ بأنّها «أشكال تنتمي إلى المستوى البديعيّ، وأنّ دورها يقف عند الوظيفة الشّكليّة، وهذا الرّأي ليس صحيحا؛ إذ إنّ لها دورًا حِجاجيا لا على سبيل زخرفة الخطاب، ولكن بهدف الإقناع والبلوغ بالأثر مبلغه الأبعد».[29]

3-4-1-المحسّنات اللّفظيّة:

3-4-1-أ-الجناس: من أمثلته: (دنسا/ نجسا-وكِسَا/ ونِسَا-خَسَا/خُلَسَا-جرسا/ خرسا-الأبْؤُسَا/ الأَنْحُسَا-حَسَا/ قَسَا-أُسَى/ أسَا-سُلَّسَا/ دَلَّسَا-نُعَّسَا/ تَعِسَا-سُوَّسَا/ سَوَّسَا-وَسَا/ رَسَا...).

3-4-1-ب-السّجع: تطغى ظاهرة السّجع على جميع أبيات الأرجوزة: (عَسْعَسَا/ خُنَّسَا-تَنَفّسَا/ المقدَّسَا-الطّرُسَا/ مَجْلِسَا-الجُلَسَا/ الأَكْؤُسَا-الدّنَسَا/ النّجَسَا-عَرَّسَا/ مُدَرِّسَا-فَانْتَكَسَا/ مُبْتَئِسًا...).

3-4-2-المحسّنات المعنويّة:

3-4-2-أ-الطّباق: من أمثلته في الأرجوزة: (الطّهر/ النّجس)، (مونسا/ موحشا)، (التّوحيد/الشّرك)، (الليل/النّهار)، (الشّهم/ الفدم)، (النّشيط/الكسول)....

3-4-2-ب-توظيف تقنيّة التّضمين: عادَة ما توجد «تراكيب جزئيّة أو جمل تامّة يأخذها الشّاعر الإسلامي من القرآن أو الحديث فيُضَمِّن كلامه هذه التّعابير الخاصّة، من غير أن يصرّح بأنّها من القرآن أو الحديث وغايته من ذلك أن يستعير من قوّتها قوّة وأن يكشف عن مهارته في إحكام الصّلة بين كلامه والكلام الذي استعاره»[30] ومن أمثلة ما ذُكِر في القصيدة، ما يلي:

(عَسْعَسَا/ خُنَّسَا/ هَدْيِ طَه/ السّندُسَا/ قُبِسَا/ الدّينُ/الشّرْكُ/ شَيْطَانُهُ/ انْبَجَسَا/ تَجَسَّسُوا/ وَسْوَسَا/ صَادِعًا/ يَدُ الإلهِ/ المُهَيْمِنُ/...).

ب-على مستوى التّراكيب:

- "إنَّا إذَا مَا لَيْلُ نُجْدٍ عَسْعَسَا"، تضمين من قوله تعالى:﴿وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التّكوير: 17]؛

- "والصّبْحُ عَنْ ضِيَائِهِ تَنَفّسَا"، تضمين من قوله تعالى:﴿ وَالصّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التّكوير: 18]؛

- " وقَـالَ إنَّ شَـيْخَكُمْ قَـدْ يـئِسَا مِـنْ بَلَدٍ فِيهَا الهُدَى قَدْ رَأسَا"، تضمين من حديث نبوي شريف؛

- "والطّامِيَاتِ الزّاخِرَاتِ يَـبَسَا"، على أسلوب القسم في بعض السّور، كسورة العاديات؛

- "وأوْضِـعُوا خِـلاَلَهُمْ"، تضمين من قوله تعالى: ﴿وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ﴾ [التّوبة: 47]؛

- "ولاَ تَـقِـفْ بِـقَبْرِهِ إنْ رُمِـسَا"، تضمين من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ ﴾[التّوبة: 48].

4-توظيف وسائل السّلّم الحِجاجي: يوظّف المرسل السّلّم الحِجاجيّ «في المراتب الموجّهة توجيهًا كمّيا، إذ يكمُن السّلّم في ترتيب الألفاظ، من الأدنى إلى الأعلى أو العكس» [31] وقد عرّفه (طه عبد الرّحمان)، بأنّه: «عبارة عن مجموعة غير فارغة من الأقوال مزوّدة بعلاقة ترتيبيّة ومُوفِيّة بالشّرطين التّاليين:

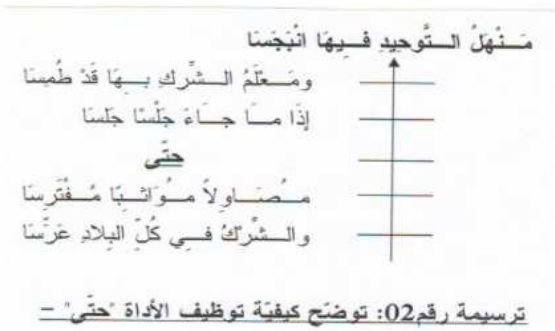

ترسيمة رقم02: توضّح كيفيّة توظيف الأداة "حتّى" -

أ-كلّ قول يقع في مرتبة ما من السّلّم يلزم عنه ما يقع تحته، بحيث تلزم عن القول الموجود في الطّرف الأعلى جميع الأقوال التي دونه.

ب-كلّ قول كان في السّلّم دليلا على مدلول معيّن، كان ما يعلوه مرتبة دليلا أقوى عليه[32]، كما حدّد له ثلاثة قوانين، هي:[33] 1-قانون الخفض 2-قانون تبديل السّلّم 3-قانون القلب.

4-1-الوسائل اللّغويّة:

4-1-1-الرّوابط الحِجاجيّة: إنّ الرّوابط الحجاجيّة هي «المؤشّر الأساسي والبارز وهي الدّليل القاطع على أنّ الحِجاج مؤشِّر له في بنيّة اللّغة نفسها»[34] **ومن تلك الرّوابط، الأداة "حتّى"؛ نجد أنّها وظِّفت في سبعة مواضع من الأرجوزة، عند قوله:**

(حَتَّى إذَا مَا جَاءَ جَلْسًا جَلسَا، حَتَّى يَرَوْا ضَوْءَ النّهَارِ حِنْدِسَا، ومَنْ يَعُبُّ الخَمْرَ حَتَّى يَخْرَسَا، حَتَّى إذا الشّرْكُ دَجَا وَاسْتَحْلَسَا، حَتَّى غَدَا اللّيلُ نَهَارًا مُشْمِسَا، فَجَئْتَه بِالغَيْثِ حَتَّى أَوْعَسَا، حَتَّى أرَاهُ بَالِغًا أندَلُسَا).

ولنأخذ موضعا واحدا على سبيل المثال، نرى من خلاله كيف طرح (الإبراهيمي) أفكاره، وفقَ ترتيب تصاعدي، عن طريق توظيف هذه الأداة؛ بحسب ما تظهره التّرسيمة التّاليّة:

«فالأداة "حتّى" تقدّم الحجّة القويّة باعتبارها الحجّة الأقوى من كل الحُجَج وباعتبارها الحُجّة الأخيرة التي يمكن تقديمها لصالح النّتيجة المقصودة»[35].

4-1-2-السّمات الدّلاليّة:

- قانون الخفض: يمكن أن نمثّل لكيفيّة توظيف هذا القانون في أرجوزة (الإبراهيمي)، بأخذ مثال واحد تجسّده التّرسيمة الآتيّة:

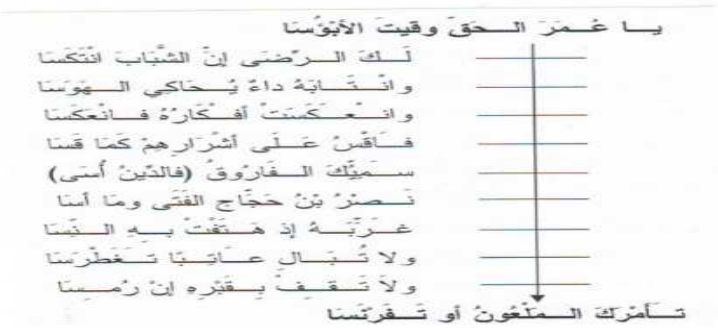

– ترسيمة رقم03: توضّح كيفيّة توظيف قانون الخفض–

نلاحظ ذلك النّزول في طرح الأفكار، بدأها بدعوة المرسَل إليه والدّعاء له، ثمّ ذكر مسبّبات ضياع بعض الشّباب، وبعدها صرّح بشاهد تاريخي من التّراث الإسلامي إلى أن وصل إلى السّبب الرّئيس في انحراف هذا النّوع من الشّباب.

4-1-3-درجات التّوكيد: من استعمالات التّوكيد في الأرجوزة، نجد: ("إنَّا إذَا مَا لَيْلُ نُجْدٍ عَسْعَسَا"، "إنَّ شَيْخَكُمْ قَدْ يئِسَا"، "ولَبِّسُوا إنَّ أبَاكُمْ لَبَّسَا"، "إنَّ الشّبَابَ انْتَكَسَا"، "فَإنَّ في بُرْدَيْهِ ذِئبًا أطْلَسَا"، "إنَّ النّفِيسَ لا يُجارِي الأَنْفَسَا"،...).

4-2-آليّات السّلَّم الحِجاجي:

4-2-1-صيغ المبالغة: تستعمل صيغ المبالغة كأداة حجاجيّة «باعتبارها أوصافًا تستلزم فعلا معيّنا ذات درجات سلميّة»[36]، من أمثلتها في الأرجوزة: (عَرَّسَا نُكِّسَتْ أسِّسَا، تَتَبَّعَ، سَمِيُّكَ، غَرَّبَهُ، سُلَّسَا، مُغَلِّسَا، سُوَّسَا،...).

4-2-3-فحوى الخطاب: من أبرز تجليّات الحِجاج عبر السّلَّم الحِجاجي «ما يكون بدلالة فحوى الخطاب، وهذا يتضمّن التّلفظ بالدّرجة العليا في السّلَّم ونفي ما عداها ضمنًا، كما قد يكون ترتيب الحُجّة ضمنيّا، وذلك بتوظيف المعرفة المخزونة والسّابقة ومناسبتها للسيّاق».[37] وهذا ما تمّ في الأرجوزة عبر الأبيات الآتيّة:

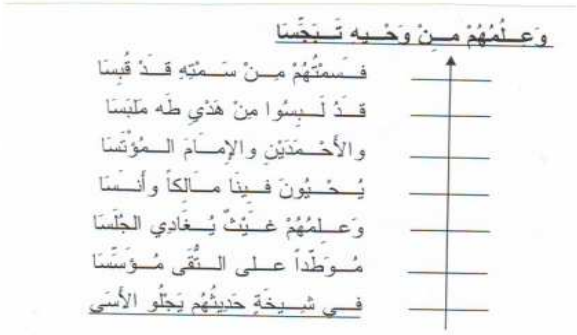

- ترسيمة رقم04: توضّح كيفيّة توظيف آليّة "فحوى الخطاب"-

نجد أنّ المرسل قد تدرّج في وصف مصدر وخصائص عِلم المرسَل إليه، انطلاقا من منهج التّابعين وصولا إلى منهج النّبي ﷺ.

والإشاريّات الشّخصيّة، هي من الأدوات اللغويّة التي يستخدمها المرسِل في السّلَّم الحجاجيّ، بأن يجعل ذاته في أعلى مرتبة، فيهمّش ما عداه لحظة التّلفّظ[38]، وأمثلته في

القصيدة عديدة، منها: (قُمْنَا نُؤَدِّي/ ونُقْطَعُ/ ونُنْتَجِي/ كأنّنَا شَرْبُ/ إنِّي رَأَيْتُ/ وإنْ يَئِسْتُ/ وَدِدْتُ ...).

4-2-4-حجّة الدّليل: للمحَاجِجِ أن يضاعف من القوّة الحِجاجيّة لخطابه باستثماره لآليّة الدّليل، وخاصّة تلك الأدلّة التي تأتي في قوالب لغويّة جاهزة؛ حيث تتباين في قوّتها الحِجَاجيّة وفقَ مصدرها الذي سِيقَت منه؛ فالآيات القرآنيّة على سبيل المثال أقوى حُجَّة من الأحاديث النّبويّة وهذه الأخيرة أقوى من الأمثال والحِكَم والشّواهد الشّعريّة، وهكذا، دون أن نهمل الكفاءة الحِجَاجيّة للمرسل حينما يعمد إلى توظيف هذا النّوع من الآليّات بحسب ظروف إنتاج خطابه.

وقد وجدناه في القصيدة مرّة واحدة، كما سبق لنا ذكره في آليّة المثل. كما أنّ قوّة ما «قد تقف في ترتيبها الحِجاجيّ عند حدّ السّند، ولا يتجاوز طرف الخطاب النّظر إلى بنيتها أو قصد المرسل، إذ تكتسب الحُجج قوّتها من قوّة مصادرها»[39]، وهذا ما استخدمه المرسل عندما استند إلى القياس، بقوله:

فإنْ أبَتْ نَجدٌ فَلاَ تَأبَى الحَسَا فَاقْسُ عَلَى أشْرَارِهِمْ كَمَـــــا قَسَا

سَمِيُّكَ الفَارُوقُ (فالدّينُ أُسِّسَ) **نَصْرُ بْنُ حَجَّاجِ الفَتَى ومَا أسَا**

غَرَّبَهُ إذ هَتَفَتْ بِـــــهِ النّسَا ولا تُبَالِ عَـــاتِبًـــــا تُغَطْرَسَا

5-توظيف المستوى الموسيقي: تلعب موسيقى الألفاظ دورا مهمّا في العمليّة الحجاجيّة، نظرا لما «تحقّقه من تأثير في المتلقّي لاضطلاعها بدور خطير هو توفير التّكافؤ في مستوى البنيّة الخارجيّة، إذا تعلّق الأمر بموسيقى الإطار؛ أي بالوزن والقافيّة باعتبار التّفعيلات، والقافيّة ليست سوى وحدات تتشابه وتتعاقب وفي مستوى البنيّة الدّاخليّة حين يعمَد الشّاعر إلى ترصيع أو تصريع أو جناس أو موازنة ...»[40]

وتغلب ظاهرة "التّصريع"، على جميع أبيات الأرجوزة؛ إذ حرف (السّين) هو حرف الرّوي، ونوع القافيّة مقيّدة، ولهذا ربّما جاز لنا تسميّة الأرجوزة بـ"سينيّة الإبراهيمي" وهي من "الرّجز المزدوج:

(عَسْعَسَا/ خُنَّسَا)، (تَنَفّسَا/ المقدَّسَا)، (الطّرُسَا/ مَجْلِسَا)، (الدّنَسَا/ النّجَسَا) (مُحتَرِسًا/ يئِسَا)، (وكِسَا/ ونِسَا)، (فانْعَكَسَا/ فأَسْلَسَا)، (سُلَّسَا/ دَلَّسَا) (نُعَّسَا/ تَعِسَا) (انْدَرَسَا/ انْطَمَسَا)،...

6-السّجل اللّغوي والثّقافي للمرسِل: ذكر ابن رشيق في عمدته أنّ «الشّاعر مأخوذ بكلّ علم، مطلوب بكلّ مكرمة، لاتّساع الشّعر واحتماله كل ما حمل: من نحو ولغة، وفقه وخبر،...»[41]، وهذا ما كشفه المعجم اللغوي الذي استخدمه (الإبراهيمي) في رسالتّه الإقناعيّة، أين «تتكاتف ضروب من ثقافته اللغويّة والفقهيّة على صياغة بعض المواقف، والتّعبير عن بعض الآراء»[42]، من مثل:

"في شِيخَةٍ حَدِيثُهُم يَجْلُو الأَسَى"، "وَعِلمُهُمْ غَيْثٌ"، "يُحْيُونَ فِينَا مَالِكاً وأَنَسَا" "والأَحْمَدَيْنِ والإِمَامَ المُؤْتَسَا"، "قَدْ لَبِسُوا مِنْ هَدْيِ طَه مَلبَسَا"، "فَسمْتُهُمْ مِنْ سَمْتِهِ قَدْ قُبِسَا"، "وَعِلْمُهُمْ مِنْ وَحْيِهِ تَبَجَّسَا"، "ومَعْلَمُ الشّركِ بِهَا قَدْ طُمِسَا" "ومَعْهَدُ العِلمِ بِها قَدْ أَسَّسَا"، "ومَنْهَلُ التّوحِيدِ"، "ومَنْ يَشِبُّ طِرْمِذاناً شَرِسَا" "ولاَ تَقِفْ بِقَبْرِهِ إنْ رُمِسَا" "مُصَاوِلاً مُوَاثِبًا مُفْتَرِسَا"، "مُنْكَمِشًا مُنْخِذِلاً مُقْعَنْسِسَا"، "مُبَصْبِصًا"، "فَسَلْ بِهِ ذَا الطّفْيَتَيْنِ الأَمْلَسَا"، "يَا شَيْبَةَ الحَمْدِ "،....

وهذا التّوظيف من أهمّ ضوابط التّداول الحِجاجيّ؛ «لأنّه بدون ذلك الرّصيد المعرفيّ لن يستطيع إيجاد دعوى أو تبنّي اعتراض معيّن، فتعُوزه الحيلة للدّفاع عمّا يراه، كما تعُوزه الحيلة في بناء خطابه واختيار حُجَجِه».[43]

*** <u>خاتمة:</u>** وفي الختام ما يسعنا قوله، هو أنّنا بعد قراءتنا لخصائص الخطاب الشّعري وآليّات الحِجاج التي تضمّنتها أرجوزة (الإبراهيمي)، وجدنا أنّ مرسلها قد وظّف مجموعة من تلك الآليّات في قصيدته، مستحضرا العوامل السّياقيّة التي صاحبت إنتاج رسالتّه، ومراعيًا خصوصيّة متلقّيها؛ حيث استند بذلك على ذخيرته اللّغويّة والعلميّة معًا.

كما لا ندّعي أنّنا ألممنا بجميع السّمات الحِجاجيّة لهذا النّص الشّعري.

*** هوامش البحث:**

(1) عبد الهادي بن ظافر الشّهري، استراتيجيّات الخطاب مقاربة لغويّة تداوليّة، (ط02 عمّان (الأردن): دار كنوز المعرفة: 1436هـ/ 2015م)، ج02، ص 219. وينظر: "مسوّغات استعمال إستراتيجيّة الإقناع"، ص220.

(2) المرجع السّابق، ج01، ص 302.

(3) طه عبد الرّحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، (ط02، الدّار البيضاء (المغرب): المركز الثّقافي العربي: 2000م)، ص38.

(4) محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري" إستراتيجيّة التّناص"، (ط03، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء(المغرب):1992م)، ص147.

(5) أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأدباء؛ تح: محمّد الحبيب ابن الخوجة، (ط03 الدّار العربيّة للكتاب، تونس:2008م)، ص319.

(6) عبد الواسع الحِميري، ما الخطاب وكيف نحلّله؟،(ط02، مجد المؤسّسة الجامعيّة للدّراسات، بيروت (لبنان): 1435هـ/2014م)، ص285.

(7) ساميّة الدّريدي، الحِجاج في الشّعر العربي بنيته وأساليبه، (ط02، عالم الكتب الحديث إربد (الأردن): 1432هـ/2011م)، ص61.

(8) المرجع السّابق، ص88.

(9) ينظر: سيرته بعنوان "خلاصة تاريخ حياتي العلميّة والعمليّة"، آثار الإمام محمّد البشير الإبراهيمي جمع وتقديم: نجله أحمد طالب الإبراهيمي، (ط01، دار الغرب الإسلامي؛ (بيروت) لبنان،1997م)؛ وعن دار الوعي (ط05، (الجزائر):2016م)، ج05، ص272-291.

(10) ينظر: المرجع السّابق، ج04، ص126-130. ويُرَجَّح أنّ هذه الأرجوزة قد أرسلها (الإبراهيمي) في فترة الخمسينيّات من القرن الماضي، بين سنتي (1952-1954م)؛ بناءً على السّيّاق التّاريخي الذي صُنّفت على ضوئه آثاره، وتحوي هذه الأرجوزة (73) بيتا، وهي من الرّجز المزدوج، وقافيتها مقيّدة.

(11) المهدي لعرج، المدخل إلى دراسة الأرجوزة العربيّة، (د ط، أفريقيا الشّرق، الدّار البيضاء (المغرب):2011م)، ص05.

(12) شكري فيصل، مقال بعنوان "قضايا الفكر في آثار الإبراهيمي"، ضمن كتاب الشّيخ البشير الإبراهيمي بأقلام معاصريه، (دار الأمّة، (الجزائر)، ط02: 1433هـ/2012م) ص168.

(13) أبو بكر العزاوي، اللّغة والحِجاج، (ط01، الدّار البيضاء (المغرب): 1426هـ/2006م) ص 16.

(14) محمّد مفتاح، ديناميّة النّص، " تنظير وانجاز"، (د ط، المركز الثّقافي العربي، الدّار البيضاء (المغرب): د ت)، ص 72.

(15) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص261.

(16) المرجع السّابق، ص 262.

(17) المرجع نفسه، ص 268.

(18) المرجع نفسه، ص 270.

(19) أمينة الدّهري، الحجاج وبناء الخطاب في ضوء البلاغة الجديدة، (ط01، المدارس للنشر، الدّار البيضاء (المغرب): 1432هـ/2011م)، ص 156.

(20) طه عبد الرّحمان، أصول الحوار وتجديد علم الكلام، ص47.

(21) محمّد مشبال، في بلاغة الحجاج نحو مقاربة بلاغيّة حجاجيّة لتحليل الخطابات (ط01، عمان (الأردن): دار كنوز المعرفة: 1438هـ/ 2017م). ص 86-87.

(22) ينظر: محمّد محمّد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى "نحو نظريّة المسالك والغايات" (ط01، دار كنوز المعرفة، عمان (الأردن): 1437هـ/2016م)، ص134-135.

(23) محمّد مفتاح، تحليل الخطاب الشّعري، ص39.

(24) ساميّة الدّريدي، مرجع سبق ذكره، ص168.

(25) حسن المودن، بلاغة الخطاب الإقناعي "نحو تصور نسقي لبلاغة الخطاب"، (ط01 دار كنوز المعرفة عمّان (الأردن): 1435هـ/2014م)، ص 153.

(26) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص 278.

(27) العزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 105.

(28) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص 282.

(29) المرجع السّابق، ص282-283.

(30) ساميّة الدّريدي، مرجع سبق ذكره، ص117-118.

(31) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص 290.

(32) طه عبد الرّحمان، اللّسان والميزان أو التّكوثر العقلي، (ط01، المركز الثّقافي العربي الدّار البيضاء (المغرب): 1998م)، ص277. وينظر: العزاوي، مرجع سبق ذكره، ص20.

(33) ينظر: المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.

(34) العزاوي، مرجع سبق ذكره، ص 55.

(35) المرجع السّابق، ص 85.

(36) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص 320.

(37) المرجع السّابق، الصّفحة نفسها.

(38) ينظر: المرجع نفسه، ص 325.

(39) المرجع نفسه، ص 338.

(40) ساميّة الدّريدي، مرجع سبق ذكره، ص125.

(41) أبي علي الحسن بن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر؛ تح: محمّد محي الدّين عبد الحميد (ط05، دار الجيل، سوريا: 1401هـ/1981م)، ج01، ص 196.

(42) شكري فيصل، مرجع سبق ذكره، ص204.

(43) الشّهري، مرجع سبق ذكره، ج02، ص 244-248.